الجنس كقوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾[1] ﴿اليوم تجزون﴾ محمول على القول.

هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾.

فإن قلت: كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عزّ وجل؟ **قلت**: الإضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابسته إياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه، وأما ملابسته إياه فلأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده **﴿ينطق عليكم﴾** يشهد عليكم بما عملتم **﴿بالحق﴾** من غير زيادة ولا نقصان **﴿إنا كنا نستنسخ﴾** الملائكة **﴿ما كنتم تعملون﴾** أي نستكتبهم أعمالكم.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾.

﴿في رحمته﴾ في جنته.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾.

وجواب أما محذوف تقديره: وأما الذين كفروا فيقال لهم **﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾**، والمعنى: ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه.

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾.

وقرئ: **﴿والساعة﴾** بالنصب عطفًا على الوعد وبالرفع عطفًا على محل إن واسمها **﴿ما الساعة﴾** أي شيء الساعة.

فإن قلت: ما معنى إن نظن إلا ظنًا؟ **قلت**: أصله نظن ظنًا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدًا بقوله: **﴿وما نحن بمستيقنين﴾**.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾.

﴿سيئات ما عملوا﴾. أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾**[2].

وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾.

﴿ننساكم﴾ نترككم في العذاب كما تركتم عدّة **﴿لقاء يومكم هذا﴾** وهي الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيًا منسيًا.

فإن قلت: ما معنى إضافة اللقاء إلى اليوم؟ **قلت**: كمعنى إضافة المكر في قوله تعالى: **﴿بل مكر الليل والنهار﴾**[3] أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه.

ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾.

وقرئ لا يخرجون بفتح الياء **﴿ولا هم يستعتبون﴾** ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه.

فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾.

﴿فلله الحمد﴾ فاحمدوا الله الذي هو ربكم، ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه.

وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾.

فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته **﴿في السمٰوات والأرض﴾** وحق مثله أن يتكبر ويعظم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ حمٓ الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب»[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأحقاف مكية

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾.

﴿إلا بالحق﴾ إلا خلقًا ملتبسًا بالحكمة والغرض الصحيح **﴿و﴾** بتقدير **﴿أجل مسمى﴾** ينتهي إليه وهو يوم القيامة **﴿والذين كفروا عما انذروا﴾** من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه **﴿معرضون﴾** لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له، ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إنذارهم ذلك اليوم.

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن

(1) سورة الكهف، الآية: 49.

(2) سورة الشورى، الآية: 40.

(3) سورة سبأ، الآية: 33.

(4) ذكره الثعلبي، وذكره الواحدي وابن مردويه في التفسير، الزيلعي 3/276.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾.

﴿بكتاب من قبل هذا﴾ أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أنّ هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك، وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك، فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله **﴿أو أثارة من علم﴾** أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب، وقرئ أثره أي من شيء أوثرتم به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم، وقرئ أثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالإثرة بالكسر بمعنى: الأثرة وأما الأثرة فالمرّة من مصدر أثر الحديث إذا رواه، وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به.

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾.

﴿ومن أضل﴾ معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام[1] حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كلّ بغية ومرام ويدعون من دونه جمادًا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾.

وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدًا فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرّة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم، وتجحد عبادتهم وإنما قيل من وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة، ولأنهم كانوا يصفونهم بالتميز جهلاً وغباوة ويجوز أن يريد كلّ معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها، قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها، ونحوه قوله تعالى: **﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾**[2].

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾.

﴿بينات﴾ جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات. واللام في **﴿للحق﴾** مثلها في قوله: **﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا﴾**[3] أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا[4] والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق **﴿لما جاءهم﴾** أي بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأوّل ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر، ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرًا مبينًا ظاهرًا أمره في البطلان لا شبهة فيه.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾.

﴿أم يقولون افتراه﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرًا إلى ذكر قولهم إن محمدًا افتراه، ومعنى الهمزة في أم الإنكار والتعجيب كأنه قيل: دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أنّ محمدًا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمّة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقًا من الله له والحكيم لا يصدّق الكاذب، فلا يكون مفتريًا والضمير للحق والمراد به الآيات **﴿قل إن افتريته﴾** على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف أفتريه وأتعرّض لعقابه يقال: فلان لا يملك إذا غضب، ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئًا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا ومنه قوله عليه السلام: لا أملك لكم من الله شيئًا[5]

---

(1) قال أحمد: وفي قوله: إلى يوم القيامة نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاء المعنى عندها، لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية؛ لأنهم في القيامة أيضاً لا يستجيبون لهم، فالوجه والله أعلم أنها من الغايات المشعرة بأنّ ما بعدها، وإن وافق ما قبلها، إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني، حتى كأنّ الحالتين وإن كانتا نوعاً واحداً لتفاوت ما بينهما كالشيء وضدّه، وذلك أنّ الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم إياهم، فهو من وادي ما تقدّم آنفاً في سورة الزخرف في قوله: ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾.

(2) سورة فاطر، الآية: 14.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 11.

(4) قال أحمد: هذا الإضراب في بابه مثل الغاية التي قدّمتها آنفاً في بابها، فإنه انتقال إلى موافق لكنه أزيد من الأوّل، فنزل بزيادته عليه مع ما تقدّمه مما ينقص عنه منزلة المتنافيين كالنفي والإثبات الذين يضرب عن أحدهما للآخر، وذلك أنّ نسبتهم للآيات إلى أنها مفتريات أشدّ وأبعد من نسبتها إلى أنها سحر، فاضرب عن تلك الأوّل إلى ذكر ما هو أغرب منه.

(5) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: من انتسب إلى آبائه في الجاهلية والإسلام (الحديث رقم: 3527)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك (الحديث رقم: 3481 ـ 204).

ثم قال: ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى، والطعن في آياته وتسميته سحرًا تارة وفرية أخرى ﴿كفى به شهيدًا بيني وبينكم﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ موعدة بالغفران، والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا.

فإن **قُلْتَ**: فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله تعالى: ﴿فلا تملكون لي﴾ **قُلْتُ**: كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم[1]، فكأنه قال لهم: إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدّكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه، البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعاً بفتح الدال أي ذا بدع، ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له:

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

﴿قل ما كنت بدعًا من الرسل﴾ فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات، فإنّ الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله: ﴿علمها عند ربي﴾[2] ﴿وما أدري﴾ لأنه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدّر لي ولكم من قضاياه ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين: حتى متى نكون على هذا؟ فقال: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر. وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال: هي منسوخة بقوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر﴾[3] ويجوز أن يكون نفيًا للدراية المفصلة، وقرئ: ﴿ما يفعل﴾ بفتح الياء أي يفعل الله عز وجل.

فإن **قُلْتَ**: إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم **قُلْتُ**: أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملاً عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله: ﴿أولم يروا أنّ الله الذي خلق السمٰوات والأرض ولم يعي بخلقهنّ بقادر﴾[4] كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها[5]، وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وقرئ: يوحي أي الله عز وجل.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾

جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[6] والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمّله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أوّل أشراط الساعة وما أوّل طعام يأكله أهل الجنة، وبال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمّه فقال عليه الصلاة والسلام: «أمّا أوّل أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء

(1) قال أحمد: فيه نظر من قبيل أنّ الكلام جرى فرضاً وتقديراً، ومتى فرض الافتراء لا يتصوّر على تقديره نصح، فإنّ النصح عبارة عن الدعاء إلى ما فيه نفع، ولا ينفع المكلف في عمل ظاهر أو باطن، إلا أن يكون مأموراً به من الله تعالى، ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحي الحق لا غير، فإذاً لا يتصوّر نصح مع الافتراء، وإنما يتم هذا الذي قرّره على قاعدة المعتزلة للقائلين بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى؛ لأنه إذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلاً، وقال: إنّ الله حتم عليكم وجوب التوحيد، وأنا رسول الله إليكم، ولم يكن متعوّقاً، فإنه محق في الأمر بالتوحيد؛ لأنّ العقل دل على وجوبه عندهم، وإن كان مفترياً في دعوى كونه رسولاً من الله عزّ وجلّ، وهذه قاعدة قد أفسدتها الأدلة القاطعة، فيحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون إسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشيء على مقابله بطريق المفهوم، فالمعنى إذاً إن كنت مفترياً فالعقوبة واقعة بي لا تدفعونها عني، فمفهومه وإن كنت محقاً، وأنتم مفترون فالعقوبة = واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾ وأمثاله كثيرة، والله أعلم.

(2) سورة طه، الآية: 52.

(3) سورة الفتح، الآية: 2.

(4) سورة الأحقاف، الآية: 33.

(5) قال أحمد: بنى على أنّ المجرور معطوف على مثله، وأنهما جميعاً في صلة موصول واحد، ولو قيل: إنّ المجرور الثاني من صلة موصول محذوف معطوف على مثله، حتى يكون التقدير وما أدري ما يفعل بي ولا ما يفعل بكم؟ لكانت لا واقعة بمكانة غير مفتقرة إلى تأويل، وحذف الموصوف المعطوف وتفاصيله كثيرة، ومنه فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء؛ يريد حسان رضي الله عنه: أفمن يهجو رسول الله ﷺ، ومن يمدحه سواء.

(6) سورة الأنعام، الآية: 144.

الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته». فقال أشهد أنك رسول الله حقًّا، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا: أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[1] وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل **﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾**[2] الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى: **﴿وإنه لفي زبر الأوّلين﴾**[3] **﴿إنّ هذا لفي الصحف الأولى﴾**[4] كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك، ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله.

فإن قُلْتَ: أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم[5] **قُلْتُ:** الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته، ثم في قوله تعالى: **﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به﴾**[6] وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد، وأما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله: **﴿كان من عند الله وكفرتم به﴾**[7] ونظيره قولك: إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عني لم نتفق في أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم، وقد جعل الإيمان في قوله فآمن مسببًا عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أنّ مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد علته واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾.

﴿للذين آمنوا﴾ لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا: عامّة من يتبع محمد السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب، وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم غفار قالت: بنو عامر وغطفان وأسد، وأشجع لو كان خيرًا ما سبقنا إليه رعاء إليهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر، ثم يقول لو أني فترت لزدتك ضربًا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو إليه محمد حقًّا ما سبقتنا إليه فلانة، وقيل: كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه.

فإن قُلْتَ: لا بدّ من عامل في الظرف في قوله: **﴿وإذ لم يهتدوا به﴾** ومن متعلق لقوله **﴿فسيقولون﴾** وغير مستقيم أن يكون[8] فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام؟ **قُلْتُ:** العامل في إذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذٍ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون هذا إفك قديم فهذا المضمر صحّ به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله: فسيقولون مسببًا عنه كما صحّ بإضمار أنّ قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم **﴿إفك قديم﴾** كقولهم أساطير الأوّلين.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: (51) (الحديث رقم: 3938).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب عبد الله بن سلام (الحديث رقم: 3812)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه (الحديث رقم: 147. 2483).

(3) رواه ابن أبي شيبة في كتاب: المفرد، في فضائل القرآن، زيلعي 3/281، راجع بدون حاشية.

(4) سورة الشعراء، الآية: 196.

(5) قال أحمد: إنما لم يوجه المعطوف إلى جهة واحدة؛ لأنّ التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما، والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور﴾ وقوله: ﴿إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ الآية وقد تقدّم تقرير ذلك في الآيتين فجدد به عهداً.

(6) سورة الأعلى، الآية: 18.

(7) سورة الأحقاف، الآية: 10.

(8) قال أحمد: إن لم يكن مانع من عمل فسيقولون في الظرف، إلا تنافي دلالتي المضي والاستقبال، فهذا غير مانع، فإن الاستقبال ههنا إنما خرج مخرج الإشعار بدوام ما وقع ومضى؛ لأن القوم قد حرموا الهداية، وقالوا: هذا إفك قديم وأساطير الأوّلين، وغير ذلك، فمعنى الآية إذاً: وقالوا إذا لم يهتدوا به هذا إفك قديم وداموا على ذلك، وأصروا عليه، فعبر عن وقوعه، ثم دوامه بصيغة الاستقبال، كما قال إبراهيم: إلا الذي فطرني، فإنه سيهدين، وقد كانت الهداية واقعة وماضية، ولكن أخبر عن وقوعها ثم داومها، فعبر بصيغة الاستقبال، وهذا طريق الجمع بين قوله: سيهدين، وقوله في الأخرى: فهو يهدين، ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذي ذكرته هو الوجه، ولكن الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب، وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم، فوجب تقدير المحذوف عاملاً فيه لينتظم بتقدير عاملاً، أمران مصادفة الظرف للعامل والفعل المعلل لعلته، فتعين ما ذكره الزمخشري لأجل الفاء لا لتنافي الدلالتين والله أعلم.

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾.

﴿كتاب موسى﴾ مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرًا مقدمًا عليه وهو ناصب **﴿إمامًا﴾** على الحال كقولك في الدار زيد قائمًا، وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إمامًا قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام **﴿ورحمة﴾** لمن آمن به وعمل بما فيه **﴿وهذا﴾** القرآن **﴿كتاب مصدق﴾** لكتاب موسى، أو لما بين يديه وتقدّمه من جميع الكتب وقرئ مصدقًا لما بين يديه **﴿ولسانًا عربيًا﴾** حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة(1) ويعمل فيه معنى الإشارة، وجوز أن يكون مفعولاً لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول، وقرئ ولينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر **﴿وبشرى﴾** في محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾.

قرئ حسنًا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما وإحسانًا وكرهًا بالفتح والضم وهما لغتان في معنى: المشقة كالفقر والعقر وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي حملاً ذا كره **﴿وحمله وفصاله﴾** ومدّة حمله وفصاله **﴿ثلاثون شهرًا﴾** وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأنّ مدّة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر، وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى.

فإن قُلْتَ: المراد بيان مدّة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال؟ **قُلْتُ:** لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهي به ويتم سمي فصالاً كما سمي المدّة بالأمد من قال:

كل حي مستكمل مدّة العمـ ... ـر ومود إذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته، وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشدّه وبلوغ الأشدّ أن يكتهل ويستوفي السنّ التي تستحكم فيها قوّته وعقله، وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أوّل الأشد وغايته الأربعين، وقيل لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة. والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليها نعمة عليه، وقيل في العمل المرضي: هو الصلوات الخمس.

فإن قُلْتَ: ما معنى في قوله: **﴿وأصلح لي في ذريتي﴾** **قُلْتُ:** معناه أن يجعل ذرّيته(2) موقعًا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذرّيتي وأوقعه فيهم ونحوه، يجرح في عراقيبها نصلي **﴿من المسلمين﴾** من المخلصين.

أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾.

وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء الضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله: **﴿في أصحاب الجنة﴾** **قُلْتُ:** هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين من أصحاب الجنة، ومعدودين فيهم **﴿وعد الصدق﴾** مصدر مؤكد لأنّ قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل، والتجاوز، وقيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمّه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر.

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾.

﴿والذي قال لوالديه﴾ مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول، والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعًا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكنب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه، وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر(3) قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمّه أمّ رومان

---

(1) قال أحمد: وجهان حسنان أعززهما بثالث، وهو النصب على الاختصاص، وهذه الوجوه في قوله تعالى: **﴿فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا﴾** والله أعلم.

(2) قال أحمد: ومثله قوله تعالى: **﴿إلا المودّة في القربى﴾** عدولاً عن قوله: إلا مودّة القربى، أو المودّة للقربى، والله أعلم.

(3) قال أحمد: ونحن نختار أنّ المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبي = بكر، ولكنا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه، فإنّ له أن يقول أراد عبد الرحمن وأمته، ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا: **﴿إنه من كيدكنّ إنّ كيدكنّ عظيم﴾** فخاطبها وخاطب أمتها والمقصودة هي، وقد عاد إلى خطابها خصوصاً بقوله: **﴿واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾** ولكن وجه الرد على من زعم أنّ المراد عبد الرحمن ما ذكره الزمخشري =

إلى الإسلام فأفف بهما، وقال: ابعثوا إلى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهدوا لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأنّ قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه، وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه: أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت: والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله[1] وقرىء أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما، وقرىء أتعدانني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعداني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعدانني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريًا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن أطرح أحدهما ﴿أن أخرج﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض، وقرىء أخرج ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ يعني ولم يبعث منهم أحد ﴿يستغيثان الله﴾ يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ﴿ويلك﴾ دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿في أمم﴾ نحو قوله في أصحاب الجنة، وقرىء أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ولكل﴾ من الجنسين المذكورين ﴿درجات مما عملوا﴾ أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير أو الشر ومن أجل ما عملوا منهما.

فإن قُلْتَ: كيف قيل درجات، وقد جاء الجنة درجات والنار دركات؟ قُلْتُ: يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين ﴿وليوفيهم﴾، وقرىء بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أذهبتم﴾ وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف[2] إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها﴾، ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا، ويدل عليها تفسير ابن عباس رضي الله عنه بجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[3] وعنه: لو شئت لكنت أطيبكم طعامًا وأحسنكم لباسًا ولكني أستبقي طيباتي[4] وعن رسول الله ﷺ أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعًا فقال: «أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بينه كما تستر الكعبة» قالوا: نحن يومئذٍ خير قال: بل أنتم اليوم خير[5]، وقرىء: أذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين. الهون والهوان، وقرىء عذاب الهوان، وقرىء يفسقون بضم السين وكسرها الأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من حقوقف الشيء إذا

= ثانياً، فقال: إن الذين حق عليهم القول هم المخلدون في النار في علم الله تعالى؛ وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم، ونقل أن معاوية كتب إلى مروان: بأن يبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرحمن: لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم، فقال مروان: أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه﴾ الآية فسمعت عائشة فغضبت، وقالت: والله ما هو به ولو شئت أن أسميه سميته، ولكنّ الله لعن أباك، وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله ا هـ كلامه. قلت: وفي هذه الآية ردّ على من زعم أنّ المفرد الجنسي لا يعمم؛ لأنه لا يعامل معاملة الجمع لا في الصفة، ولا في الخبر، فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض، وهذا مردود بأن خبر الذي الواقع جنساً جاء على نعت خبر المجموع، كما رأيت، والله أعلم.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، سورة الأحقاف، باب: «والذي= قال لوالديه أف لكما...» (الحديث رقم: 4827).

(2) قال أحمد: إن كان قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوباً فليس قوله: يعرض الذين كفروا على النار مقلوباً؛ لأنه الملجىء ثم إلى اعتقاد القلب أنّ الحوض جماد لا إدراك له، والناقة هي المدركة فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة، وأما النار فقد وردت النصوص بأنها حينئذ مدركة إدراك الحيوانات، بل إدراك أولى العلم، فالأمر في الآية على ظاهره، كقولك: عرضت الأسرى على الأمير، والله أعلم.

(3) ذكره ابن المبارك في الزهد، وأحمد بن حنبل في الزهد، وأبو عبيدة في غريب، الزيلعي 3/283.

(4) رواه أبو نعيم في ترجمة عمر.

(5) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة، والرقائق والورع، باب: (35) (الحديث رقم: 2476).

أعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن، وقيل بين عمان ومهرة.

۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾.

و﴿**النذر**﴾ جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار ﴿**من بين يديه**﴾ من قبله ﴿**ومن خلفه**﴾ ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده، والمعنى: أنّ هودًا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم: لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أنّ الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله، والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى: ﴿**وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه**﴾ اعتراضًا بين أنذر قومه وبين ﴿**ألا تعبدوا**﴾ ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم، وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكر.

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾.

الإفك الصرف: يقال أفكه عن رأيه ﴿**عن آلهتنا**﴾ عن عبادتنا ﴿**بما تعدنا**﴾ من معاجلة العذاب على الشرك ﴿**إن كنت**﴾ صادقًا في وعدك.

قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾.

فإن قلت: من أين طابق قوله تعالى: ﴿**إنما العلم عند الله**﴾ جوابًا لقولهم فأتنا بما تعدنا؟ **قلت:** من حيث أنّ قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**بل هو ما استعجلتم به**﴾ فقال لهم: لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابًا إنما علم ذلك عند الله، فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى ﴿**وأبلغكم ما أرسلت به**﴾ وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي، ولكنكم جاهلون ولا تعلمون أنّ الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه.

﴿**فلما رأوه**﴾ في الضمير وجهان أن يرجع إلى تعدنا وأن يكون مبهمًا قد وضح أمره بقوله ﴿**عارضًا**﴾ إما تمييزًا وإما حالاً وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبى والعنان من حبًا وعنّ إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفًا للنكرة ﴿**بل هو**﴾ القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو، وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح.

تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾.

أي قال الله تعالى: قل ﴿**تدمر كل شيء**﴾ تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية، وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارًا إذا هلك ﴿**لا ترى**﴾ الخطاب للرائي من كان وقرئ ﴿**لا يرى**﴾ على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمّة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية، وقرئ الا ترى إلا مسكنهم ولا يرى إلا مسكنهم. وروي أنّ الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجوّ حتى ترى كأنها جرادة، وقيل أوّل من أبصر العذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحًا فيها كشهب النار. وروي أوّل ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم، ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أنّ هودًا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً إلى جنب عين تنبع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وأنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة وعن النبي ﷺ أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له: يا رسول الله ما تخاف، فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطر[1].

فإن قلت: ما فائدة إضافة الرب إلى الريح؟ **قلت:** الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه، وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم.. (الحديث رقم: 15 ـ 899)، والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا هاجت الريح، (الحديث رقم: 3449)، =

= والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا عصفت الريح، (الحديث رقم: 946).

من جهته عز وجل يعضد ذلك ويقوّيه.

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾.

﴿إنْ﴾ نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما فيه مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى أن الأصل في مهما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله:

لعمرك ما ما بان منك لضارب

وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما أن بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش:

يرجي المرء ما إن لا يراه

وتعرض دون أدناه الخطوب. وتؤوّل بأنا مكناهم في مثل ما مكّناكم فيه والوجه هو الأوّل ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثًا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثارًا وهو أبلغ في التوبيخ، وأدخل في الحث على الاعتبار ﴿من شيء﴾ أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه.

فإن قُلْتَ: بم انتصب ﴿إذ كانوا يجحدون﴾ قُلْتُ: بقوله تعالى: فما أغنى.

فإن قُلْتَ: لم جرى مجرى التعليل؟ قُلْتُ: لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾.

﴿ما حولكم﴾ يا أهل مكة ﴿من القرى﴾ من نحو حجر ثمود، وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال ﴿لعلهم يرجعون﴾.

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾.

القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربًا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف[1] والثاني آلهة وقربانًا حال، ولا يصح أن يكون قربانًا مفعولاً ثانيًا وآلهة بدلاً منه لفساد المعنى، وقرئ قربانًا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي غابوا عن نصرتهم ﴿وذلك﴾ إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والإفك والإفك كالحذر والحذر، وقرئ وذلك إفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق، وقرئ إفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾.

﴿صرفنا إليك نفرًا﴾ أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك، وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارًا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا[2] ﴿فلما حضروه﴾ الضمير ﴿للقرآن﴾ أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله ﷺ، وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها.

﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿أنصتوا﴾ اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روي أنّ الجنّ كانت تسترق السمع، فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا: ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جنّ نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة، ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم، فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف[3] وعن سعيد بن جبير

---

(1) قال أحمد: لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب، ونحن نبينه فنقول: لو كان قرباناً مفعولاً ثانياً، ومعناه: متقرّباً بهم لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقرباً به؛ لأنّ السيد إنما وبخ عبده، وقال: اتخذت فلاناً سيداً دوني، فإنما معناه: اللوم على نسبة السيادة إلى غيره، وليس هذا المقصد، فإنّ الله تعالى يتقرّب إليه ولا يتقرّب به لغيره، فإنما وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى، فكان حق الكلام أن يكون آلهة هو = المفعول الثاني لا غير.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذر (الحديث رقم: 132 ـ 2473).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الآذان باب: الجهر بقراءة صلاة الفجر (الحديث رقم: 773)، ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (الحديث رقم: 149 ـ 449)، والحاكم في المستدرك: 2/456.

رضي الله عنه ما قرأ رسول الله ﷺ عن الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به، فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم[1] وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجنّ ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم جمعهم له فقال: إني أمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثًا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجنّ أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطًا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم افتتح القرآن وسمعت لغطًا شديدًا حتى خفت على رسول الله ﷺ وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله ﷺ هل رأيت شيئًا قلت نعم رجالاً سودًا مستثفري ثياب بيض، فقال: أولئك جنّ نصيبين وكانوا اثني عشر ألفًا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك[2].

فإن قُلْتَ: كيف قالوا من ﴿**بعد موسى**﴾؟ **قُلْتُ:** عن عطاء رضي الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ الجنّ لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت: من بعد موسى.

يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾.

فإن قُلْتَ: لم بعض في قوله: ﴿**من ذنوبكم**﴾ **قُلْتُ:** لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم[3] ونحوها ونحوه قوله عزّ وجل: ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم﴾[4].

فإن قُلْتَ: هل للجن ثواب كما للإنس؟ **قُلْتُ:** اختلف فيه فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله تعالى: ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله، والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم.

وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾.

﴿**فليس بمعجز في الأرض**﴾ أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا﴾[5].

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾.

﴿**بقادر**﴾ محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أوّل الآية على أن وما في حيزها، وقال الزجاج: لو قلت ما ظننت أنّ زيدًا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بل مقرّرة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم، وقرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الأوّل.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾.

﴿**أليس هذا بالحق**﴾ محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله تعالى: ﴿**فذوقوا العذاب**﴾ والمعنى: التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين.

فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾.

﴿**أولوا العزم**﴾ أولو الجد والثبات والصبر و ﴿**من**﴾ يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده، وإسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه: إنا لمدركون قال: كلا إنّ معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى: في آدم ولم نجد له عزمًا وفي يونس، ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم ﴿**ولا تستعجل**﴾ لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وإنهم مستقصرون حينئذ مدّة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ﴿**ساعة من نهار بلاغ**﴾ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام ﴿**فهل يهلك**﴾ إلا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه، ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك، وقرئ: ﴿**بلاغًا**﴾ أي بلغوا بلاغًا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر

(1) راجع الحديث: 403.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك 2/503.

(3) قال أحمد: ليس ما أطلقه من أن الإيمان لا يغفر المظالم بصحيح؛ لأنّ الحربي لو نهب الأموال المصونة وسفك الدماء المحقونة، ثم حسن إسلامه جب الإسلام عنه إثم ما تقدّم بلا إشكال، ويقال: إنه ما وعد المغفرة الكافر على تقدير الإيمان في كتاب الله تعالى، إلا = مبعضة وهذا منه، فإن لم يكن لاطراده بذلك سر فما هو إلا أنّ مقام الكافر قبض لا بسط، لذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب، وقد ورد في حق المؤمنين مثله كثيرًا، والله أعلم.

(4) سورة نوح، الآية: 3 ـ 4.

(5) سورة الأحقاف، الآية: 34.

اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا»(1).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد ﷺ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾﴾.

وصدّوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدّوا غيرهم عنه قال ابن عباس: رضي الله عنه: هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل: كانوا اثني عشر رجلاً من أهل الشرك يصدّون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل: هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدّوا من أراد منهم، ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل: هو عام في كل من كفر وصدّ ﴿أضل أعمالهم﴾ أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل(2) التي هي بمضيعة لا ربّ لها يحفظها، ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وأعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرى الأضياف، وحفظ الجوار وقيل: أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله ﷺ والصدّ عن سبيل الله بأن نصره عليه وأظهر دينه على الدين كله.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾.

﴿والذين آمنوا﴾ قال مقاتل هم ناس من قريش، وقيل: من الأنصار، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عامّ وقوله: ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله ﷺ من بين ما يجب به الإيمان تعظيمًا لشأنه وتعليمًا لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وهو الحق من ربهم﴾، وقيل معناها أنّ دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرىء نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم ﴿وأصلح بالهم﴾ أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين، وتكفير سيئات الثاني بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبًا على هذا ومرفوعًا على الأوّل و ﴿الباطل﴾ ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان، وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الضرب ﴿يضرب الله للناس أمثالهم﴾ والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم.

فإن قُلْتَ: أي ضرب الأمثال؟ قُلْتُ: في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين، أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾.

﴿لقيتم﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فضرب الرقاب﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضربًا فحذف الفعل، وقدّم المصدر فأنيب منابه مضافًا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه، وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأنّ الواجب أنّ تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله: بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه، وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله

---

(1) ذكره الثعلبي، والواحدي، وابن مردويه في التفسير، الزيلعي 3/ 291.

(2) قال أحمد: هذا المعنى الثاني حسن متمكن مليء بمقابلة قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ثم قال: ﴿كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ وتحرير المقابلة بينهما أنّ الكفار ضلّت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي، حتى= صار صالحهم مستهلكاً في غمار سيئهم، ومقابله في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة، حتى صار سيئهم مكفراً ممحقاً في جنب صالح أعمالهم، وإلى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيء أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾، والله أعلم.